مقـالة

منزلة العلماء وردود الأفعال

لفضيلة الشيخ

أحمد السبيعي

بتاريخ : ٢٩/ ٠١/ ٢٠١٩

منزلة العلماء وردود الأفعال

١- لا يستطيع مسلم -ذكي أو غبي- أن ينكر المنزلة العالية الرفيعة التي جعلها الله للعلماء وحملة العلم، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾.

٢- ولا يستطيع مسلم -ذكي أو غبي- أن ينفي وجوب أن يكون هؤلاء العلماء أشخاصًا معلومين بأسمائهم وأماكن تواجدهم، ورجالًا معيَّنين ممن يجب عليهم أن يقوموا بدورهم بالشكل الصحيح، وينتفع بهم المسلمون بالطريقة الصحيحة أيضًا.

٣- بل إن النبي صلى الله عليه وسلم جعل علامة وسبب ارتفاع العلم من الأرض -قبل رفع القرآن- هو موت العلماء، فقال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء» رواه البخاري.

٤- النبي صلى الله عليه وسلم لم يعب ولَم يذم الرجوع للعلماء، فإن هذا أمر مشروع مطلوب شرعًا لا بد منه، وقد أمر الله عز وجل به في قوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، ودعا النبي صلى الله عليه وسلم على الذين تَرَكُوا سؤال أهل العلم وأفتوا بغير علم، فقال: «قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا؟! فإنما شفاء العي السؤال».

٥- وهدي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم في الرجوع إلى علمائهم واضح معلوم، وهم القدوة.

٦- فوقوع الخطأ لسبب من الأسباب، علاجه في: «كلٌّ يؤخذُ من قوله ويترك، إلا النبي صلى الله عليه وسلم»، ولا يبرَّؤ العالم من مسؤوليته في الخطأ، كما لا يُترك شكره والثناء عليه في الصواب.

٧- ووجود النقص -الذي لا بد من مثله في البشر- يعالَج المعالجة الحكيمة الإصلاحية طويلة النفَس، المبنية على الصبر والتؤدة، ذلكم المركب الصعب -سفينة السنة ونوح- الذي لا يركبه إلا الصادقون المخلصون، المصلحون على الحقيقة، مفاتيح الخير مغاليق الشر، كما وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم.

٨- ووجود انحراف في طريقة التعامل مع العلماء مِن مجموعٍ معيّن، ذي طموحات شخصية سياسية بدعية فاسدة -من طارئين على دعوة السنة- لا يستوجب ردة فعل

يُخرج فيها عن هدي الصحابة ودلالة الوحي في الرجوع لأهل العلم وطريقة التعامل معهم، فالبدعة لا تُرد بالبدعة أبدًا عند أهل السنة.

٩- إن الدين الحق وأحكام الله عز وجل في معاملة الناس -علماء وغيرهم- لا تُبنى على ردود الأفعال، إنما هي أحكامُ شرعٍ ودينُ ربٍّ يُتحرى فيها العلم والعدل والحكمة ما أمكن. ووجود تصوّرٍ سابق ناقص، أو اكتشاف مكمن خلل -سواء كان موجودًا أصليًّا، أو لم يلاحَظ إلا بعد مدة، أو أنه طرأ بعد إذ لم يكن- لا يغيِّر مما تبنى عليه الأحكام شيئًا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لكعب بن عجرة بعد إذ رأى مقدار القُمّل في جسده ولحيته ورأسه: «ما كنتُ أظنُّ أن الوجع قد بلغ بك ما أرى».

فـ﴿مَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾.

١٠- فمذهب الحق، مذهب الصحابة، مذهب أهل السنة وأصول السنة كفيلان في كل وقت وحين وحال على تجديد الدين، وإحياء الحق وقمع الباطل، والحمد لله الكريم القائل: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

١١- أمّا استثمار الخطأ والنقص من قِبَل مرضى يغذون أمراض قلوبهم؛ من قوم معتزلين، وآخرين برأيهم معجبين، وبطانة متزعزعين أو بالسُّنة متأكّلين، وأهل أهواء أكل الحسد قلوبهم، فيغتنمون ما يجري في الاقتصاص من خصومهم بالبغي والافتراء. فهؤلاء شابهوا أهل البدع من الجماعات؛ حين يستدلّون بأخطاء أهل العلم للدفاع عن البدع وأهلها!

ونسأل الله لنا ولهم الهداية والتوفيق.

١٢- لقد عانى المسلمون النصف القرن المنصرم معاناة شديدة من استحواذ الفِرَق -الجماعات الإسلامية السياسية- على الكلام باسم الدين، والسيطرة على المنابر والأجواء، حتى بلغ أثرُها بعضَ المنتسبين إلى السُّنة. وقد آن الأوان اليوم بوضوح إلى اغتنام نعمة الله العظيمة الجليلة بالفرقان بين السُّنة والجماعات، لإكمال مسيرة هذا الفرقان ليشمل كل باب وكل أحد، لا أن تُقلب هذه النعمة إلى ردة فعل سلبية، وانهزامًا روحيًّا، وتقهقرًا إلى الخلف؛ بسبب النزوع إلى العقل أو الهوى، مع أثر وحي الشياطين ووسوستهم.

فإن استمر هؤلاء حجر عثرة بين السُّنة والجماعات، فلا نملك إلا أن نعمل فيهم بقول الحق: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾.

بقلم الشيخ/ أحمد السبيعي
الثلاثاء ٢٣ جمادى الأولى ١٤٤٠هـ
الموافق ٢٩ يناير ٢٠١٩م